

إحياء علوم الدين

أخرى لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة منه قطرة ماء ولا يزرق فحكي أنه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه فشقق شهقة فانشق قلبه وتلفت نفسه .

وروي أن موسى عليه السلام قص في بني إسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه أو قميصه فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك .

قال أبو القاسم النصراباذي لأبي عمرو بن عبيد أنا أقول إذا اجتمع القوم فيكون معهم قوال يقول خيرا لهم من أن يغتابوا فقال أبو عمرو الرياء في السماع وهو أن ترى من نفسك حالا ليست فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة أو نحو ذلك .

فإن قلت الأفضل هو الذي لا يحركه السماع ولا يؤثر في ظاهره أو الذي يظهر عليه فاعلم أن عدم الظهور تارة يكون لضعف الوارد من الوجد فهو نقصان وتارة يكون مع قوة الوجد في الباطن لكن لا يظهر لكمال القوة على ضبط الجوارح فهو كمال وتارة يكون لكون حال الوجد ملازما ومصاحبا في الأحوال كلها فلا يتبين للسمع مزيد تأثير وهو غاية الكمال .

فإن صاحب الوجد في غالب الأحوال لا يدوم وجده فمن هو في وجد دائم ثم فهو المرابط للحق والملازم لعين الشهود فهذا لا تغيره طوارق الأحوال ولا يبعد أن تكون الإشارة بقول الصديق عليه السلام كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطبيق ملازمة الوجد في كل الأحوال فنحن في سماع معاني القرآن على الدوام فلا يكون القرآن جديدا في حقنا طارئا علينا حتى تتأثر به .

فإذا قوة الوجد تحرك وقوة العقل والتماسك تضبط الظاهر وقد يغلب أحدهما الآخر إما الشدة قوته وإما لضعف ما يقابله ويكون النقصان والكمال بحسب ذلك فلا تظن أن الذي يضطرب بنفسه على الأرض أتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن أتم وجدا من المضطرب .

فقد كان الجنيد يتحرك في السماع في بدايته ثم صار لا يتحرك فقليل له في ذلك فقال وتري الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إشارة إلى أن القلب مضطرب جائل في الملكوت والجوارح متأدبة في الظاهر ساكنة .

وقال أبو الحسن محمد بن أحمد وكان بالبصرة صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر أو القرآن فلما كان في آخر عمره قرأ رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد إلى حاله سألته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا .

وكذلك سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من

أصحابه فقال قد ضعفت فقليل له فإن كان هذا من مضعف فما قوة الحال فقال أن لا يرد عليه
وارد إلا وهو يلتقيه بقوة حاله فلا تغيره الواردات وإن كانت قوية .
وسبب القدرة على ضبط الظاهر مع وجود الوجد استواء الأحوال بملازمة الشهود .
كما حكى عن سهل C تعالى أنه قال حالتي قبل الصلاة وبعدها واحدة لأنه كان مراعىا للقلب
حاضر الذكر مع الله تعالى في كل حال .
فكذلك يكون قبل السماع وبعده إذ يكون وجهه دائما وعطشه متصلا وشربه مستمرا بحيث لا يؤثر
السماع في زيادته .
كما روي أن ممشاد الدينوري أشرف على جماعة فيهم قوال فسكنوا فقال ارجعوا إلى ما كنتم
فيه فلو جمعت ملاهي الدنيا في أذني ما شغل همي ولا شفى بعض ما بي .
وقال الجنيد C تعالى لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم .
وفضل العلم أتم من فضل الوجد .
فإن قلت فمثل هذا لم يحضر السماع فاعلم أن من هؤلاء من ترك السماع في كبره وكان لا
يحضر إلا نادرا لمساعدة أخ من الإخوان وإدخلا للسرور على قلبه وربما حضر ليعرف القوم
كمال قوته فيعلمون أنه ليس الكمال بالوجد الظاهر فيتعلمون منه ضبط الظاهر عن التكلف
وإن لم يقدرُوا على الاقتداء به في صيرورته طبعاً